بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}[الفرقان: 74]، وقَالَ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ. وَضَمَّ أَصَابِعَهُ)).

الأولاد هم قرة أعين للآباء والأمهات، ولكن حتى يكون هؤلاء قرة أعين فلا بد من تنشئتهم تنشئة صالحة، ولذلك أتى أمر الله تعالى برعاية الأهل والأولاد، وأمر بحفظهم عن كل ما يؤدي إلى الفساد، قال:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم:6].

والعرب في الجاهلية كانوا يترقبون الذكور، أما البنت فكانوا لا يحبونها، ويحمل بعضهم كراهيتها لقتلها ووأدِها، قال تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [النحل الآية 58: 59]، وقال:{وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}[التكوير الآية: 8: 9] .

وحين بعث نبينا صلى الله عليه وسلم حرم هذه الفِعلة الشنعاء، فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ))، ووَأد البنات هو دفنهن بالحياة كما فعل أهل الجاهلية. قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ وُلِدَتْ لَهُ ابْنَةٌ فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ)).

ولم يكتفِ صلى الله عليه وسلم بالنهي الشديد عن وأد البنات، بل أمر في أحاديث كثيرة بالإحسان إليهن، ووعد من يرعاهن ويحسن إليهن بالأجر الجزيل والمنزلة العالية:

عن عائشة قالت: ((دخلتْ امرأةٌ معها ابنتانِ لها تسأَل (فقيرة)، فلم تجدْ عندي شيئًا غيرَ تمرةٍ، فأَعطيتُهَا إيَّاها، فَقَسَمَتْهَا بينَ ابنتيْها ولم تأكُلْ منها، ثم قامتْ فخرجتْ، فدخلَ صلى الله عليه وسلم علينا فأخبرته، فقال: من ابْتُلِي من هذهِ البناتِ بشيءٍ كُنَّ لهُ سِترًا من النار)).

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن عال ابنتينِ أو ثلاثًا، أو أختينِ أو ثلاثًا، حتَّى يَبِنَّ (ينفصلن عنه بتزويج أو موت)، أو يموتَ عنهنَّ كُنْتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتينِ – وأشار بأُصبُعِه الوسطى والَّتي تليها).

وفي رواية جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم قال: ((مَن كان له ثلاثُ بناتٍ يُؤدِّبُهنَّ ويرحَمُهنَّ ويكفُلُهنَّ وجَبَت له الجنَّةُ ألبتةَ، قيل يا رسولَ اللهِ: فإن كانتا اثنتينِ؟ قال: وإن كانتا اثنتين، قال: فرأى بعضُ القوم أن لو قال: واحدةً، لقال: واحدة))

في هذه الأحاديث تأكيد على حق البنات على آبائهم أو من يقوم على تربيتهن، وذلك لما فيهن من الضعف غالباً عن القيام بمصالح أنفسهن، وليست القضية طعاماً ولباساً وتزويجاً فقط، بل أدباً ورحمة، وحسن تربية واتقاءً للهِ فيهنَّ، فالعَوْل يكون بالقيام بمئونة البدن، من الكسوة والطعام والشراب والسكن، وكذلك يكون في غذاء الروح، بالتعليم والتهذيب والتوجيه.

فيا عائلاً للبنات، أبشِر بحِجاب من النار، وبصُحْبة النبي صلى الله عليه وسلم فالتربية الصالحة للأولاد ينتفع بها الآباء والأمهات في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا ما يحصل من البر منهم، وكونهم قدوة في الخير، يغبطك عليهم الآخرون مما يرون من صلاحهم ودينهم.

وأما في الآخرة فهم حسنات جارية تكتب في صحائف أعمالك ترتقي بها عند الله، قال صلى الله عليه وسلم((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)) والولد يشمل الذكر والأنثى، بل حتى إذا دخل الجنة يستفيد، قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَنَّى هَذَا فَيُقَالُ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ))، كما أن الولد ينتفع بصلاح أبيه في الدنيا، قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}[الكهف:82]، فالمنفعة متبادلة بين الأصول والفروع.

مسؤولية المربي عظيمة أما كانت أو أباً، فيجب على المربي أن يربي ابنته منذ الصغر على الطاعة وأن يحبب إليها الإيمان ويزينه في قلبها ويكره إليها الكفر والفسوق والعصيان، فمن الخطأ الكبير أن يضيع المربي الصلاة، وأبناؤه ينظرون إليه، أو يكذب ويلعن، وهم يستمعون إليه، أو يشتري الملابس القصيرة، أو

الشفافة لبناته، فيعودهن منذ الصغر على السفور، ويضعف في قلوبهن هيبة الحجاب والستر، يقول تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأعراف: 26].

-من الخطأ أن يعطي الأب لابنته حرية زائدة وثقة مطلقة، فيتركها تذهب حيث تشاء، وتخرج متى تشاء، وتدخل البيت حين تشاء، بزعم أنه يثق فيها، وينسى أننا في زمن الفتن والمغريات.

-من الخطأ أن يهتم الأب بتعليم ابنته التعليم المدرسي، ويفرط في التعليم الديني، فتنشأ البنت وتكبر و لا تحفظ شيئا من كتاب الله، ولا تعرف شيئاً من أحكام دينها التفصيلية التي تحتاجها المرأة في حياتها، فتجدها في مسائل العلوم والرياضيات من أذكى البنات، لكنها في أمور دينها كما **قال تعالى:{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}** [الروم:7].

-من الخطأ أن يزوجها عاصياً إن كان صاحب مال، ويؤخر زواجها إذا جاءها من يرضى دينه وخلقه، بحجة إكمال الدراسة، أو أنه لا يستطيع تحقيق الشروط التي وضعها، أو المهر الذي طلبه، قال تعالى: {وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[النور: 32] وقال صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ)).

وليس المراد أن يعاملن بقسوة، فإن البنات ضعيفات وعاطفيات وهن بحاجة إلى سماع كلمات الرفق والحنان، فعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ قَالَتْ: ((مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلاًّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ فَاطِمَةَ كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا)).

-من المدمر للأخلاق أن يجلس الوالدان ليروا على شاشة التلفاز بطلا وبطلة مغرمان ببعضهما ويتحديان كل الظروف، ولا يقف رفض الوالدين أمام حبهما، فتقوم بعلاقة مع عشيقها لأن حبها أكبر من كل رفض فينتصر الحب، كل ذلك تراه العائلة مجتمعة على شاشات التلفاز فتنتشر الرذيلة ويخلع الحياء من القلوب وتفتح طرق المعاصي.

مسئوليتكم تجاه بناتكم عظيمة، فكم من صالحة أنشأت جيلاً عظيماً، كانت نتاج تربية صالحة، وغراس أب صالح، والبعض من الآباء يرمي بتربية البنات على الأم ويظن أنه مسئول عن البنين ولا علاقة له بالبنات وينسى أن تربية البنات عملية مشتركة بين الأب والأم، فإن البنت محتاجة في طفولتها إلى تربية أمها أكثر من أبيها، لكنها في مرحلة المراهقة محتاجة إلى تربية أبيها أكثر من أمها. وبنات اليوم أمهات الغد فإذا أحسنّا اليوم تربيتهن فإننا نكون قد أعددنا جيلاً من البنات الصالحات المهيآت لتربية أبنائهن وقيادة بيوتهن، والبنات يتعرضن من أعداء الإسلام إلى حملة تستهدف عفتهن وطهارتهن وأخلاقهن ويحاولون إغرائهن بالمغريات المغلفة وإغراقهن في الشكليات المزيفة وإذا لم يجدن توجيهاً متواصلاً من أهلهن فإن العواقب ستكون وخيمة، فأكثروا من الدعاء لأبنائكم بالهداية والصلاح، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن دعوة الوالد لولده دعوة مستجابة.

والحمد لله رب العالمين